بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: مَولد الهادى البَشير (ﷺ)

# لماذا كانت البشرية فى انتظار سيدنا محمد ﷺ؟

## دستورُ الأخلاق النَّبوية

## طريقُنا إلى الصَّلاح والإصْلاح والأداء الحَضاري المتميّز

## كيف نَتلمَّسُ نورَ سيدنا رسول اللّه في حياتنا؟

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ١٣ ربيع الأول ١٤٤٧هـ ٥ سبتمبر ٢٠٢٥م
صفحة معارج الدعاة - موقع صوت الدعاة

الحمدُ للهِ رب العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدنا محمدًا ((ﷺ) ) عبدُه ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للأنام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه البررة الكرام، ومَن تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

اللهم صلّ صلاة كاملة، وسلم سلامًا تامًا، على نبي تنحلُ به العُقد، وتنفرج به الكُرب، وتقضى به الحوائج، وتُنالُ به الرغائب، وحُسنُ الخواتيم، ويستسقى الغمامُ بوجه الكريم. وعَلَى آلِهِ الطاهرين، وصحبِه الطيبين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا... اللهم آمين يا رب العالمين.

فَمَبْلَغُ العلمِ فيه أنّهُ بَشَرٌ... وَأنّهُ خَيْرُ خَلقِ اللّهِ كلهم
مولاي صلّ وسلم دائما أبدًا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

**أيها المسلمون:** أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ..) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

وقال تعالى: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

# لماذا كانت البشرية في انتظار سيدنا محمد (ﷺ)؟ (١)

مِن تمام فَضل الله تعالى على البَشر أنه لم يخلقْهم ويرزقْهم ويتركْهم سُدًى، يَهيمون على وجوهِهم في البَرية؛ بل رسمَ لهم- وهو أعلمُ بمَن خلق- الطريقَ الذي يضمنُ لهم الصلاحَ والفلاح، ويَقيهم الهلاكَ والوقوعَ في المعاصي، فأرسل الرسلَ بالرسالات المتعاقبَة؛ يُبشّرون ويُنذرون، ويُنيرون للناس سبيلَ الله.

وكان تمامُ الرسالات السماوية وكمالُها في رسالة سيدنا محمد (ﷺ) الذي أرسله اللهُ تعالى رحمةً للعالمين في وقتٍ بلغتْ فيه البشرية شأوَ غيِّها وضلالها.

وإنَّ المتأملَ في تاريخ الحضارة الإنسانية قبيلَ مولدِه الشريف، وما كان عليه حالُ البشرية وقتئذٍ، مِن جاهليةٍ خيَّمت بظلالها الوَخيمة على شتى نواحي الحياة (الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والسياسية،...)، والتي تمثَّلت في: استبداد واستغلال، وقَهر وظلم، وصراعاتٍ مقيتَة، وحروبٍ لا تنتهي، وما حدثَ في حروب (البَسُوس)، (دَاحِس والغَبْرَاء) وغيرها ليست منَّا ببعيد؟!. **حرب (البسوس)** نَشبَت بسبب ناقةٍ دخلت حِمى رجُل، فكسرتْ بيضَ حَمامٍ، فرمى ضَرْعَها بسَهْم، فقتله صاحبُها، فدارتِ الحربُ الضروسُ أربعين سنة، حتى ضربت العربُ بشُؤمها المثَلَ(٢). **وحرب (دَاحس والغَبْرَاء)** حدثتْ لأتفَه الأسباب بين قبيلتيْن ثمَّ توسَّعت بين قبائل كثيرة، بسببِ أنَّ فرسًا سبقَت أخرى في سباق، واستمرَّت لمدة أربعين(٣) سنة!.

لقد أمسَتِ الأمور -والحالةُ هذه- على نحو غريب، حيث سيادةُ مفاهيم الاستعلاء والبقاء للأقوى، وانحسارُ الأمن، وإلفُ الخوف وعدم الاستقرار. نعم، كان العالمُ يَعيش في دَياجر التّيه والظلام، وكان في انتظار مَن ينقذُه مِن التردّي السَّحيق في مظاهر الحياة، لا سيَّما حقوق الإنسان وغيره، ولعلَّ دفنَ البنات أحياءً فيما عُرف بـ "وأد البنات" مخافةَ العار مظهرٌ مظاهِرَ العبثِ آنذاك!.

وكأنَّ البشرية كانت في انتظار مَخاضٍ جديد، يقضي على ظلالِ الجهالة المخيفة.

كأنها في انتظار حدثٍ جليلٍ يُغيرُ على هذه العاداتِ القاسية، ويُغَيِّر شكلَ العالم ومَعالمه، ويقضي على الجاهلية.

---

(١) راجع هذا الموضوع في كتاب: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، د/ أحمد علي سليمان القاهرة: دار إشراقة، ٢٠٢٤م، ص ٤١-٥٠

(٢) أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ): كتاب مجمع الأمثال، بيروت: دار المعرفة، جـ ٢، ص٤٣٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٠.

كانت في انتظار هدايةٍ من رَحم الغيب تُغَيّر وجهَ العالم، وتقضى على ظلامِه الدّامِس وظلماته المخيفَة، وتُنيره بأنوار المحبَّة والعدلِ والسلام.

لقد تجلَّت حكمةُ الله تعالى حتى لا تستمرَّ البشريةُ في غَيّها في هذا الصراع المدمّر؛ لذلك فإنه تعالى برحمتِه وحنانه وجودِه وكرمِه ومنَّته أرادَ أن يُنقذ البشريةَ مِن نفسها، ويحدّدَ لها الطريقَ السَّوي الذي يكفُل لها السلامةَ والأمان، والتقدمَ والازدهار، والنهوضَ والعمران، وهذا ما حدثَ بالفعل بِبَعثة النبي الكريم سيدنا محمد عليه الصلاةُ والسلام؛ لإنقاذِ البشرية، فبدَّل خوفَهم أمنًا، وظلامَهم نورًا، وقسوتَهم رحمة، وجورَهم عدلًا، برسالةٍ عالميةٍ خاتمة.

واستطاعَ النبيُّ العظيم أن يُكَوّن أمةَ الإسلام، التي ترتبطُ بمنهج الله الحنيف، الذي خَلَقَ فيهم السلامَ النَّفسى والروحى، والإخلاص، ومراقبةَ الضمير والخوفَ مِن الله، ومخاطبةَ العقل، واحترامَ العلم، ومَنَّ اللهُ تعالى عليهم بالأمن والأمان وجعلَهم مِن أسبابه ومقوّماته، حتى أصبح الراكبُ يسير مِن صَنعاء إلى حضرموت لا يخافُ إلا الله والذئبَ على غنمِه، ومِن ثَمَّ أَمِنَ الناسُ مِن عدوانِ بعضهم على بعض، وتفرَّغوا للعلم ونَشر دعوة الحق، فأسَّسوا حضارةً زاخرة زاهرة، أضاءتْ جنباتِ العالم بثمراتِ قرائحهم.

لقد استطاعَ النبيُّ الكريم أن يُغَيّر شكلَ العالم في وقتٍ قصير جدًّا، ومِن عجبٍ أنَّ بعضَ المستشرقين المنصفين والمفكرين الغربيّين يدركونَ القيمةَ العظمى لرسولنا العظيم ويَضعونَه في مقدمةِ عُظماء العالم والتاريخ، حتى قال الكاتبُ العالمى "برنارد شو" عن سيدنا محمد (ﷺ): "ما أحوجَ العالم إلى محمد بن عبد الله ليحلَّ مشكلاتِ العالم وهو يحتسي فنجانَ قهوة"، ويقول الأديبُ الروسي "ليو تولستوي" في كتابِه "حِكَم النبي محمد": "ومما لا ريبَ فيه أنَّ النبي محمدًا كان مِن عظماء الرجال المصلحين الذين خدَموا المجتمعَ الإنساني خدمةً جليلة، ويَكفيه فخرًا أنه هدى أمةً بأكملها إلى نور الحق، وجعلَها تجنَحُ إلى السكينةِ والسلام، وتؤثرُ عيشةَ الزهد، ومنعَها مِن سَفك الدماء وتقديم الضَّحايا البشرية، وفتحَ لها طريقَ الرقي والمدنية، وهذا عملٌ عظيم لا يقوم به شخصٌ مَهما أوتيَ مِن قوَّة، ورجلٌ مثل هذا جديرٌ بالاحترام والإجلال"(٤).

## العالمُ قُبيلَ البعثة: قراءةٌ في التاريخ والجغرافيا

لقد كان العالمُ قبيلَ بَعثة النبي الكريم يسبحُ في ظلماتِ الجهالة، ويَتيه في بَيداء الضلالة، فالناسُ قد نأوا عن الأخلاق الفاضلة، وتفشَّى فيهم أوباءُ الشَّر والفساد، حيث كانت شبهُ الجزيرة العربية محصورةً بين دولتيْن كبيرتين: (الفرس – الروم)، وكانت هاتان الدولتان تتحكَّمان في العالم في ذلك العصر، وكان فيهما فسادٌ كبير، فبلادُ الفرس انتشرتْ فيها المجوسية وهي عبادةُ النار، وكانوا يعتقدون أنَّ للعالم إلهيْن: إلهَ الخير وإلهَ الشَّر، وقدِ انقسموا إلى مذاهبَ مختلفة، وكان لكلّ مذهبٍ أنصارٌ يُعادون ويناوئون أنصارَ المذهب الآخر. أما بلادُ الروم فقد انقسموا إلى طوائفَ عدَّة ومتباينة(٥).

٤)) https://al-ain.com/article/tolstoy-prophet-mohamed-birthday

(٥) د/ عبد المقصود نصار، د/ محمد الطيب النجار: السيرة النبوية، الجزء الأول، الأزهر الشريف، ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م، ص٦.

وقد كانتِ الحربُ بينهما سِجالًا، فأحيانًا ينتصر الفرسُ وينتزعون جزءً مِن أملاكِ الروم، وأحيانًا ينتصر الرومُ فينتزعون جزءً مِن أملاك الفرس[٦]. وهكذا دَواليك.

## جزيرةُ العرب آنذاك:

لم تكن الجزيرةُ العربية أسعدَ حالًا مِن غيرها وقتئذ، فلقد كانت تعيشُ في جهل مُطبق، وكان مجتمعُها الجاهلى يعجُّ بكثير مِن سيِّئ العادات: أصنام مَعبودة، وغارات مَشنونة، ودماء مَسفوكة، وأرحام مَقطوعة، وشاعَ فيها: شربُ الخمر، ولعبُ الميسر، والاستقسامُ بالأزلام، والتعاملُ بالربا الفاحش، ووأدُ البنات مخافة الفقر أو العار[٧]، والجمعُ بين الأختين في الزواج، وكانوا يتزوَّجون بزوجاتِ آبائهم إذا طلَّقوهن أو ماتوا عنهن، ناهيكَ عن انتشار المجون، والرّق... إلخ، وكانوا يعيشون للعصبيَّة القَبلية، ويموتون لها، ويعدّون شربَ الخمر ضربًا مِن ضروب الكرم.

وعلى الرغم مِن هذه العادات السَّيِّئَة التي يُنكرها العقلُ السليم فإنَّه قد كانت هناك بعضٌ مِن الأخلاق النَّبيلة، منها: الكرم، حيث كان الرجلُ يأتيه الضيفُ في شدَّة البرد والجوع وليس عندَه مِن المال إلا ناقتُه التي هى حياته وحياةُ أسرتِه، فتأخذُه هزَّةُ الكرم، فيقوم ليذبحَها لضيفِه، وكانوا يُطعمون المساكين، ويوفونَ بالعهود، ويتَّصفون بعزَّة النفس، والحلمِ والأناةِ والتؤدَة... وغيرها[٨].

ولقد كانتِ العلاقةُ السائدة بين أفراد القبيلة الواحدة علاقةَ تَعاون وتضامن، بينما كانت علاقةُ القبيلة بالقبيلة الأخرى –في الغالب– علاقةَ كراهية وعَداوة؛ إذ كانت كلُّ قبيلةٍ تحبُّ أن تمتاز من غيرها بأن تكون أكثرَ مالًا، وأعظمَ جاهًا، وقد أدى ذلكَ إلى قيام النزاعات والحروب الضَّروس بينهم؛ مما جعل أمةَ العرب مفكَّكة الأواصِر، مهدَّدةً بالفناء والزوال؛ لولا أنْ تَداركها اللهُ –تعالى– برسالةِ الإسلام.

## التجارةُ والإغارة والحاجةُ الماسَّة إلى معاهدة "إيلاف قريش":

كانتِ التجارة عصبَ حياةِ العرب، فيها يعملون، ومِن أجلها يسافرون، ومِن ريعِها يعيشون...وكانت تجارتُهم وقوافلهم مهدَّدةً على الدوام.

حيث كان بين الجنوبِ والشمال مساحةٌ شاسعة تسكنُها إما:

- قبائل تأنَفُ مِن الخضوع لنظامٍ ملكيٍّ أو دولة خارجية مثلَ قريش في مكة، والأوس والخزرج في المدينة.
- أو تجمُّعات للأعراب يعيشون في ضيقِ حال؛ مما دفع بعضَهم لقطع الطرق على القوافل.

ذلك الوضعُ كان له أثرُه السَّلبي على أمان القوافل التجارية، وأدَّى لتَعرُّض بعض المناطق لانقطاع بعض البضائع والسلع عنها؛ نتيجةَ سيطرة الطَّرف المحارب لها على مَعابرها.

---

(٦)( المرجع السابق ص ٦، ٧، بتصرف.

(٧) محمد محمد الدهان: محمد (ﷺ) أريجٌ من سيرته وقبسٌ من شريعته، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م، ص١١.

(٨) راجع: صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار إحياء التراث، ص٤٢ وما بعدها، د/ عبد المقصود نصار، د/ محمد الطيب النجار: السيرة النبوية (مرجع سابق)، ص ١٠ وما بعدها.

وبالتالي كان لا بدَّ مِن طرفٍ يستطيع أن "يؤلّف" كلَّ الأطراف؛ لضمان استمرار حركة التجارة وعدمِ تأثُّرها سلبًا بالوضْع العام. ومن هنا جاءتْ فكرةُ الإيلاف في النِّصف الثاني مِن القرن الخامس الميلادي(٩).

لقد سَعوا إلى إيجاد معاهدةٍ تضمنُ لهم سلاسةَ الحركة وسلامةَ تجارتهم وقوافلهم مِن الإغارات، فكان إيلافُ قريش الذي صوَّره القرآنُ الكريم، يقول الحقُّ تبارك وتعالى: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) (سورة قريش).

إنَّ المخاطرَ التي تكتنفُ عمليةَ التجارة بين الشام واليمن دفعتْ قريشًا للقيام بتأمين الطريق لتِجارتها وتجارة القبائل الأخرى. فكانت فكرةُ "الإيلاف"(١٠)؛ وهو عبارة عن مجموعةٍ مِن العهود السياسية التِّجارية، وحلفٌ قبَلي واسعٌ يستهدف تأمينَ القوافل في رحلة الشتاء التي تتَّجه لليمن، ورحلة الصيف المتَّجهة للشام، وضمنَ هذه الترتيبات كانتِ القبائلُ تؤدّي واجبَ الاستضافة والحماية لقوافل قريش وبقيَّة التجار الملتحقين بها مِن القبائل الأخرى.

إنَّ الإيلافَ، والترتيباتِ القائمةَ حوله، تدلِّلُ على وجود وعي لقريش على غيرها مِن القبائل العربية، وقدرتها على أداءِ دور مهمٍّ لإحلالِ السلام بين قبائل العرب، وهو ما أعطاها ورجالها مكانةً بين القبائل العربية(١١).

ولقد سارعتْ بعضُ القبائل إلى طلب الدخول في "الإيلاف"(١٢) أو الاستفادة منه حتى وإن لم تكن واقعةً على طُرق التجارة المعتادة؛ طمعًا منها في الربح، والاستفادة مِن حماية قوافلها خلالَ مرورها بمناطق "الإيلاف"، ففتحَت بذلك طُرقًا وأسواقًا جديدة. وارتفع في هذه الظروف نفوذُ القرشيّين إلى حدِّ أنه يقال: إنَّ المسافر على رأس قافلة كان يَكفيه قولُه إنه مِن "أهل الحرم".

## الحالةُ السياسية والدينية:

أما الحالةُ السياسية فكانت أسوأ حالًا، وكان الناسُ في عمايتهم يتخبَّطون؛ إذ انقسمَ الناسُ بين سادةٍ وعبيد، أو حكامٍ ومحكومين، فالسادةُ لهم كلُّ الغُنْم، والعبيدُ عليهم كلُّ الغُرْم، وكانتِ القبائل داخلَ الجزيرة مفكَّكةَ الأوصال، تغلب عليها النزاعاتُ العنصرية. وأما عن الحالة الدينية فكان العربُ قديمًا مُتمسّكين بدين الخليل إبراهيم عليه السلام، وظلُّوا على هذه الحال حينًا مِن الزمان، حتى طال عليهم الأمَد، ونَسوا حظًّا مما ذُكِّروا به، فبدَّلوه وغيَّروه وقلبوه وخالَفوه، واستبدلوا بالتوحيدِ شركًا، وباليقين شكًّا، وابتدَعوا أشياء لم يأذنْ بها الله(١٣).

---

(٩) وليد فكري: إيلاف قريش"، الاتفاقية التي غيّرت خريطة المنطقة وتاريخ العرب.

(١٠) لمزيد من المعلومات، يراجع: د/ محمد كمال إمام: نظرية الإيلاف في الفقه الإسلامي، بحث ضمن كتاب: الإسلام وحوار الحضارات، العدد الثاني من سلسلة فكر المواجهة، القاهرة: رابطة الجامعات الإسلامية، ٢٠٠١م، ص ١٤٩-١٥٢.

(١١) ما هو إيلاف قريش؟

http://alrai.com/article/٥٩٥٨٠٢.html، www.nassnews.net: ١٠ / يوليو / ٢٠١٣

(١٢) وتشير المصادر إلى أن هاشمًا بن عبد مناف بن قصي توصل إلى اتفاق مع الحاكم البيزنطي بالشام يجيز لتجار قريش دخول بلاد الشام بتجارتهم، ويخفف المكوس (الجمارك) المفروضة عليها. اتفاق مشابه أجراه عبد شمس بن عبد مناف مع النجاشي بالحبشة. بينما قام المطلب بن عبد مناف بالاتفاق مع قبائل اليمن. وهذه الاتفاقيات كانت تحتاج إلى ضمان عدم هجوم القبائل العربية على القافلة؛ لذلك قامت قريش بحمل ما يتوافر لدى هذه القبائل من تمر وما شابهه وباعته في الشام أو اليمن، ودفعت ثمنه للقبائل مع الربح نظير حمايتهم للقافلة المارة في حمى القبيلة. كما أنها استأجرت أبناء القبائل لحماية القوافل، وسمحت لهم بالدخول إلى مكة في أمان لأنها البلد الأمين، والمعروف أن مكة واقعة في واد غير ذي زرع. أي لا تعتمد على الزراعة كما المدينة المنورة. فالله أطعمهم من جوع من رحلتي الإيلاف. راجع: د/ محمد عقل: إيلاف قريش، ١٩ مايو ٢٠١٨م.

(١٣) انظر: تفسير ابن كثير، عند تفسيره لقول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة:٢).

وتحوَّلوا إلى عبادة الأصنام، ثمَّ كثُر فيهم الشرك، وانتشرتِ الأوثانُ في الحجاز، وكانوا يَعكُفون عليها ويَلتجئون لها، ويحجّون إليها، ويطوفونَ حولها، ويسجدون لها، ويتذلَّلون عندها، ويَنذُرون لها، ويتقرَّبون إليها بأنواعٍ مِن القَرابين؛ حتى صار الشركُ وعبادةُ الأصنام أكبرَ مَظهر مِن مظاهر دين أهل الجاهلية، الذين كانوا يزعمونَ أنَّهم على دين إبراهيم، ويعتقدون أنَّ هذه الأصنام تُقرّبهم إلى الله تعالى، وتوصلُهم إليه، وتَشفع لهم عنده، وفي ذلك يقول الحقُّ تبارك وتعالى على لسانهم: (..مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفِي..) (الزمر: ٧) (١٤).

وعلى الرغم مِن التخبُّط الذي عاشوا فيه، فإنَّه قد ظلَّ فيهم بقيةٌ مِن دين إبراهيم (عليه السلام)، مثل: تَعظيم البيت، والطَّواف به، والحج والعمرة، وإهداء البُدن... إلخ، بيدَ أنهم ابتدَعوا في ذلك بدعًا ما أنزل اللهُ بها مِن سلطان... وكثرَت مَعاصيهم، وانتشرتْ فيهم الخرافات(١٥). وبالتالي كانتِ الإنسانية كلُّها في ذلك الوقت تائهةً في مَجاهل الحياة، غارقةً في بحار الجهل، مُمعنَةً في الغيِّ والسَّفَه، سادرةً في الجهل والعَمَه(١٦).

## مولدُ النّور:

وفي هذا الزمان شاء الله الحكيم أن ينبثقَ نورُ سيدنا محمد (ﷺ)، ونورُ الإسلام (...قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) (المائدة: ١٥)؛ ليَقضي على هذه الأوهام، وعلى هذا الرُّكامِ مِن هذه العقائد، والفلسفات، والخرافات، والأساطير الفاسدة.

لقد مَنَّ اللهُ تعالى على البَشرية بخير الأنام ومِسكِ الختام سيدِنا محمد (عليه الصلاة والسلام) الذي جعله اللهُ نورًا للإنسان.. ونورًا للأوطان.. ونورًا للأكوان، نورًا يمشي على الأرض؛ يُعلِّم الجاهل، ويُرشِد الحائر، ويَهدي الضَّالَّ إلى طريق الله... ويفجِّر ينابيعَ الرحمة في القلوب ويُترجمها إلى سلوكياتٍ في جميع الميادين، ويُرسي دعائمَ العدل، ويَدُق أجراسَ الحرية في آذانِ التاريخ، ويَنْشر السلامَ والمحبَّة، ويُحيي النفوسَ بعد أن ذاقتْ مرارةَ الذلِّ والاضطهاد في ظلّ قوانين العبودية، ويقود بناءَ الأمة الإسلامية؛ فيضربُ المثلَ الأعلى في مواصفات القيادة المثالية الرَّشيدة للأمم والشعوب(١٧)، ويَغرس أشجارَ النبل والإخاء والحبّ في جنَبات المجتمع، ويحرّر العقولَ والقلوبَ والنفوسَ مِن كلّ قيود التعلق بغير الله، ويُظهره اللهُ للعالمين كأعظم مُصلح نشَرَ أرقى المبادئ والتشريعات والقوانينِ السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ لتَحقيق رقيّ المجتمعات وفقَ منهج الله.

يقول تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (آل عمران: ١٦٤).

وقال (عزَّ وجلَّ): (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ (١٨) رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة:٢).

---

(١٤) صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم (مرجع سابق)، ص ٣٣-٤٢ وما بعدها.

(١٥) المرجع السابق، ص٤٠، ٤١.

(١٦) توفيق محمد سبع: نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، جـ ١، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الآخرة ١٣٩١هـ / أغسطس ١٩٧١م، ص١٣٤.

(١٧) راجع: خديجة النبراوي: محمد (ﷺ) الرحمة المهداة كما لا يعرفه الآخرون، القاهرة: دار العواصم.

(١٨) الأميون هم: العرب وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ، قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...) (الأعراف:١٥٨)، وقوله: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ) (الأنعام: ١٩) إلى غير ذلك من الآيات الدّالة على عموم بعثته (عليه الصلاة والسلام) إلى جميع الخلق.

وهذه الآيةُ هى مِصداقُ إجابة الله لخليلِه إبراهيم (عليه السلام) حين دعا لأهل مكَّة أن يبعث اللهُ فيهم رسولًا منهم، يَتلو عليهم آياته، ويُزكيهم، ويُعلمهم الكتابَ والحكمة.

فجاءَ الإسلامُ بنوره الوضَّاح الخلَّاق ليُنشئ أمةً وحضارةً ذات طابع مُتميز متفرّد؛ لقيادةِ البشرية، وتحقيق منهج الله، وإنقاذِ البشرية مما كانت تُعانيه مِن الظُّلم والخوف والمناهج والتصورات الضالة...[١٩].

واستطاعَ النبيُّ الحكيم أن يُغَيِّر معالمَ الدنيا، ويقضى على الحروبِ والصِّراعات التى راحَ ضحيتَها كثيرٌ مِن الناس، ويُغيرُ على مَفاهيم الاستعلاء والأنانية التي كانتْ سائدةً ومُنتشرة بالجزيرة العربية عبرَ قرونٍ مَديدة، ويحولهم مِن هذا كلِّه إلى الإيمان، والرحمة، والمحبة، والتَّسامح، والإيثار، والسلام الذي عمَّ الدنيا كلَّها بمجيئه (ﷺ).

وهكذا بذَر الرسولُ الرحيم بذورَ الخير والرحمةِ في قلوب الناس، ويبسطُ الإسلامُ جناحيْه على مناطق كثيرة، ويؤسِّس المسلمون حضارةً عظيمة، ببركة تَوفيق الله تعالى لرسوله العظيم الذي كان– وما يزال وسَيَظل– أعظمَ عظماء الدنيا بشهادةِ كثيرٍ مِن المنصفين مِن المخالفين.

يقول د/ محمد عبد الله دراز: "إنَّ رسالَة الإسلام حين بسطتْ جناحيها في أقلّ مِن نصف قرنٍ على نِصف المعمورة، كانت كأنما أنشأته خَلقًا آخر، لقد بدَّلتْه مِن أوطانِه المتفرّقة وطنًا واحدًا، ومِن قَوانينه المختلفة قانونًا واحدًا، ومِن آلهتِه المتعدِّدة إلهًا واحدًا، لقد نفَذَت إلى جوهر نفسِه فحوَّلته تَحويلًا، وبدَّلت أسلوبَ تفكيره تبديلًا، وإنَّ هذا النجاح ليس مردُّه إلى سبب واحدٍ ولا فضيلة واحدة؛ بل لقد تَضافرت عليه: شخصيةُ الداعى، ومنهاجُ دعوته، وشخصيةُ الأمَّة التي تلقَّتْ تلك الدعوة، وطبيعة الدعوة نفسِها، ومِن وراء ذلك كلِّه كلاءةُ الله ورعايتُه لهذه الرسالة حتى بلغتْ كمالها. أما صاحبُ الرسالة فقد جمعَ خِلالًا، كلُّ واحدة منها كانت عنصرًا فعَّالا في هذا النجاح، خلالًا نعدُّ منها ولا نعدِّدُهَا، ونرسمُ شيئًا مِن جوانبها ولا نحدُّها: صبر ومصابرة، وجدّ ومثابرة، وحرصٌ على بلوغ الغاية، والتزامٌ لأدقِّ حدود الصدقِ في الوسيلة وفي الغاية، تلطُّفٌ في الدعوة، وقصدٌ في الحجة، وتعليمٌ بالأسوَة والقدوة، وتأديبٌ باللمحة والنظرة، وطهرٌ في السِّيرة والسَّريرة، لا حقدٌ ولا ضغينة، ولا ختْل[٢٠] ولا مُواربَة، سخاءٌ بما في اليد، وزهدٌ فيما بيدِ الناس، تضحيةٌ بحظوظ نفسِه، وتنازلٌ عن حقوق شخصه، أما في تبليغ الرسالة وإقامة العدالة، فعزيمةٌ متوفِّرة لا تَني، وصلابةٌ في الحقّ لا تَنثني. هذه الخلالُ الفُضلى، وأمثالها وأمثالُ أمثالها تنبعُ في نفس الرسول الكريم مِن ينبوع ذي ثلاثِ شُعب: الإيمان، والحب، والأمل.. إيمانٌ بقدسيَّة الرسالة وضرورة حَملها، وحبٌّ للإنسانية واهتمامٌ بإنقاذها، وأملٌ في نجاح الدعوة وبلوغِها أقصى غايتها. نعم، إنَّ هذا القلبَ الذي يمتلئ إيمانًا وحكمةً يفيض في الوقت نفسِه حنانًا ورحمة، ويُطالع في الأفق دائمًا أملًا باسمًا في النجاح والفَلاح.. لا نقول: إنَّه يفيضُ رحمةً بأتباعه وحَسب، فإنه وإن كان لأتباعِه مِن رحمتِه النصيبُ الأوفَر، فهو كما وصفَه اللهُ رحمةٌ للعالمين، لأعدائه وأوليائه أجمعين، حريصٌ على خَيرهم وسَعادتهم، مُشفقٌ على عنَتِهم وشِقْوتهم. (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة: ١٢٨)، ولا أقول: إنه كان يداعبُ أملًا في نجاح جزئيّ يخصُّ عشيرتَه الأقربين، أو يخصُّ أمَّ القرى ومَن حولها، ولكنه كان يحملُ أملًا في نجاحٍ محيطٍ شاملٍ، بتنظيم البَشرية كلها.. ألم ترَ

(١٩) ناصر بدر ملك: وسطية الحضارة الإسلامية– أساسياتها وإسهاماتها ومستقبلها، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الإيسيسكو، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢٠) خَتَلَ: لجأ إلى طُرُق مُلْتوية فيها مُوارَبة لبُلوغ الغاية. ختل: جحر الأرنب، وهو موضع يستتر فيه. ختّال صيغة مبالغة من ختَلَ. كثير الغَدْر والخِداع. راجع القاموس المحيط وغيره.

كيف كان كلُّ انتقاص مِن محيط هذا النجاح انتقاصًا مِن طيب نفسِه ونَعيمها، وزيادةً في أحزانها وآلامِها؟ هذا القلبُ الرحيم كيف يطيبُ له عيشٌ وهو لا يزال يرى طائفةً مِن إخوته في الإنسانية يعيشونَ في ظُلمة الضَّلالة والجهالة، أو في حماةِ الفساد والرَّذيلة، أو تحتَ نيرِ العبودية لغير الله؟!"[٢١]. ويا لَه مِن قلبٍ رحيمٍ حنونٍ بلغَ شأوَ الرحمة والرفق بالعالمين!.

وهكذا كانتِ البشريةُ في انتظار سيدنا محمد (ﷺ)؛ لينقذَها، وسيظلُّ يُنقذُها إلى أبدِ الآبدين بمنهج الله تعالى الذي يذخَرُ بالعلاج الناجِع لمشكلاتِ الإنسانية التي عانتْها مِن قبْل، وتُعانيها الآن، وتلك التي سوف تُعانيها في المستقبلَيْن القريب والبعيد.

وما أفدحَ الخسارة التي تكبَّدتْها البشرية– ولا تزال– حين تجاهلتِ الشرائعَ السَّماوية وعلى رأسِها رسالةُ الإسلام التي جاء بها خيرُ الأنام ومِسكُ الختام؟! فهلْ آنَ الأوانُ للبشرية أن تَغترف مِن أنوار الوحي الشريف المعصومِ الذي جاء به النبيُّ الكريم؟!.

# النبيُّ نــورٌ

## كيف نَتلمَّسُ هذا النورَ في حياتنا؟ [٢٢]

أيُّها القارئ الكريم، أخلاقُ النبيِّ (ﷺ) كالماء العَذْبِ السَّلسبيل، الطّاهِرِ المطهِّر، الذي يُطهِّر القلوبَ، والعقولَ، والوجدانَ، والأجسامَ مِن الأدْران.

وأخلاقُ النبوَّة في كلِّ وقتٍ كالغيثِ النافع أيْنما حلَّ نفع، وكلَّما طوَّفنا شرقًا وغَربًا، شمالًا وجنوبًا، طولًا وعرضًا وعمقًا، بلْ كلَّما مرَّتِ الأيام والشهورُ والسنونُ والدهورُ ازدادتْ حاجتُنا وحاجةُ البشرية إليها، وازدَدْنا تعلُّقًا بصاحبِها؛ صاحبِ الخُلُق العظيم. ولعلَّ هذا ما يفسرُ الحبَّ الجارفَ لسيدِنا محمدٍ (صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم)، وازْديادَ المنْتَسبينَ له، والمتَسَمّين باسْمه في شتَّى أنحاء المعمورة، ولمَ لا وهو رحمةُ الله للعالَمين، والسِّراجُ المنير، الهادي إلى طريقِ الله المستقيم.

إنَّه النورُ المبين الذي أضاءَ اللهُ تعالى به العقولَ والقلوبَ والدُّروب. يقول الحقُّ سبحانه وتعالى: (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) (المائدة: ١٥)، فالمرادُ بالنّور –كما قال كثيرٌ من العلماء والمفسّرين– هو سيدُنا محمد (ﷺ) ، الذي أنارَ اللهُ تعالى به الحقَّ، وأظهرَ به الإسلام، ومحَقَ به الشِّرك، فهو نورٌ لمَن اسْتَنار به، يُبين الحقَّ، ويَقضي على الباطلِ، ويُعلِّم الجاهلَ، ويُرشِد الحائرَ، ويَهدي الضَّالَّ إلى طريق الله.

وإذا كان الشاعرُ العربيُّ الكبير كعب بنُ زهير، قد قال –منذُ أكثرَ من أربعة عشَر قرنًا– هذه الحقيقة، التي كُتِب لها الخلود:

**إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ *** مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ**

---

(٢١) د/ محمد عبد الله دراز: نظرات في الإسلام، هدية مجلة الأزهر، عدد صفر ١٤٤٣هـ/سبتمبر – أكتوبر ٢٠٢١م، ص ١٩ – ٢٢.

(٢٢) راجع هذا الموضوع في كتاب: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، د/ أحمد علي سليمان (مرجع سابق)، ص ٨٧–٨٨

فإنَّ هذه الحقيقةَ ستَظلُّ شامخةً، باذخةً، حاضِرةً، ماثلةً على عروشِ القلوب، وعلى صفحاتِ الكونِ والحياة، أكَّدتْها وتؤكدُها ألسنةُ الخلق، وأسَلاتُ[٢٣] الكون، وأفواهُ الحياة على الدَّوام.

ومِن هنا نُعلنُها للعالمين:

## اسْتَعينوا على عَظائمِ الأمورِ بكَثرةِ الصَّلاة على الرَّسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

فاللهمَّ نَوِّر قلوبَنا، وعقولَنا، ودروبَنا، وحياتَنا من نورِ نورِك، ومن نورِ كتابِك الكريم، ومن النَّور الذي أفَضتَّ به على نبيِّكِ العظيم، ووَضِّئنا بأخلاقِه يا ربَّ العالمين.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

# الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، نحمدُه ونَستعينُه ونَستهْديه، نتوكَّل عليه، ونُثني عليه الخيرَ كلَّه، نَشكرُه ولا نَكفُره، ونَخلعُ ونَترُكُ مَن يَفجُره، نَرجو رحمتَه ونَخشى عذابَه. ونَدْعوه على الدَّوام، ونَرْجوه على الدَّوام، ونَتعلَّق بحبالِه على الدَّوام. فاللهمَّ يا مَن لا تَراه في الدُّنيا العيون، ولا تُخالِطُه الظُّنون، ولا يصِفُه الواصفون.

يا مَن قَدَّر الدُّهور، ودبَّر الأمور، وعلِمَ ما في الصدور. يا مَن عزَّ فارتفَع، وذلَّ كلُّ شيء له فخَضَع. يا مَن يُجيب المضطرَّ، ويكشفُ الضُّرَّ، ويَغفرُ الذَّنب، ويَقبلُ التَّوْب، لا إله إلا أنت؛ اسْتَعملْنا في طاعتك، ووفِّقْنا لعبادتك، وأحْيِنا بمعْرفتِك، وحقِّقْ آمالَنا، وأصلِحْ أعمالَنا، واخْتِم بالصّالحات أعْمارَنا، برَحْمتِك يا أرحمَ الراحمين.

وأشهد ألا لا إله إلا الله، وأن سيدنا محمدا رسول الله، والصلاةُ والسَّلام الأتمّانِ الأكْمَلان، الأشْرَفانِ الأنْوَران، الأعْطَرانِ الأزْهَران؛ على مَن جُمِعَتْ كلُّ الكَمالاتِ فيه.. وعلى آلِه وصحبِه وتابعيه.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتَعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

# دستورُ الأخلاق النَّبوية

## طريقُنا إلى الصَّلاح والإصْلاح والأداء الحَضاري المتميّز[٢٤]

كلَّما مرتِ الأيام والشهورُ والسنونُ والدهورُ ازدادَ عددُ المتعلِّقين بسيدنا محمد (ﷺ) والمنتَسبين له، والمتَسَمّين باسْمه في شتى أنحاء المعْمورة، ولِمَ لا وهو رحمةُ الله للعالمين.. السراجُ المنير، الهادي إلى طريق الله المستقيم، النورُ المبين الذي أضاءَ اللهُ به العقولَ والقلوب والدُّروب.

---

(٢٣) مفردها أَسَلَة، ومعناها طرف الشّيء، والمراد أطراف ألسنة الكون.

(٢٤) راجع هذا الموضوع في كتاب: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، د/ أحمد علي سليمان (مرجع سابق)، ص ٥١-٦٦.

لقد جاءَ النبيُّ الكريم (عليه الصلاة والسلام) برسالةٍ شريفة مشرَّفة، ومشرِّفة لمن هَداه اللهُ إلى اتِّباعها.. رسالة عظيمة القَدْر، رفيعة الشأن، عالية المقام، سامقة الجاه... ولمَ لا؛ فهي من لَدُن الحكيمِ الخبير، والناقلُ من الله مباشرةً (الوسيطُ بين الله (عزَّ وجلَّ) وبينَ النبي مَلَكٌ كَريم، والمنقولُ إليه (الوسيطُ بين الله تعالى وبينَنا) نبيٌّ مُختار مَعصوم، ومن ثمَّ فنحنُ مع النبي (ﷺ) في أمانٍ تام؛ عقولُنا في أمان، وقلوبُنا في أمان، وكلُّنا في أمان، ومعلوماتُنا من مصدر مَوثوق ليسَ فيه مثقالُ ذرَّة من شَك. ولقد ضمن اللهُ تعالى لنا عصمةَ عَقل نبيِّه، وعصمةَ قلبه، وعصمةَ فؤاده، وضمنَ لنا عصمةَ الرسالة حتى بعدَ وفاته عليه الصلاةُ والسلام؛ إذ أخذَ اللهُ تعالى العهدَ على نفسه بحفظِها، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩).

لقد اصْطفاه ربُّه العظيم، وأعدَّه إعدادًا خاصًّا، يَتناسب مع عالميةِ الرسالة، ومدحَه بما منحَه؛ فقال تعالى في شأنه: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)، فهو رسولُ الله تعالى.. ونبيُّ الرحمة، والخير، والإنسانية، والمحبة، والإخاء، والرشاد، والبناء، والصلاح، والإصلاح، والفلاح.. ورسولُ الحق، والعدل، والجمال، والنظافة، والنظام، والحرية، والمساواة، والسلام النَّفسي والروحي، والسَّلام بمعناه الشّامل... ورسولُ السَّكينة والرضا والتفاؤل والأمَل فيما عند الله.. وهو الرسولُ الذي جاءَ ليُبدد الظلام، ويُجابِه الغَطرسة والأنانية والظلمَ والجوْر والغرور، ويَضبط الغرائز.. وهو مَن أرسلَه ربُّه لضَبط حركة الإنسان، وحركة الحياة، وتَنظيم العلاقات الإنسانية على أسسٍ رَشيدة هادية، وإعداد الناس للقاءِ ربهم يوم القيامة.

عزيزي القارئ الكريم، إذا كان العالم –وما يزال– قد جرَّب نظرياتٍ وفلسفاتٍ متعدِّدة، ثبتَ فشلُها للعالمين؛ بل تسبَّب بعضُها في الاعتداء على الفِطرة السَّوية، والإضرارِ بالكون ومُفرداته، وازدواج المعايير، وتَغذيةِ الصراعات والحروب،... إلخ، فقد آنَ الأوانُ له أن يجربَ منهجًا آخرَ فيه النجاة، بل هو المسْعِف، والمنقِذ، وفيه العلاجُ الناجِع لمشكلات البَشرية التي عانتْها من قبل، والتي تُعانيها الآن، وتلك التي سوف تُعانيها في المستقبل.

## القيمُ والأخلاقُ النبويةُ المحورُ الأساسُ للحضارة الإسلامية:

الأخلاقُ والقيمُ هي المعاييرُ المرجعية الحاكمةُ للفكر والسلوك والتربية، التي يُقاس عليها السلوكُ الإنساني الرشيدُ في المجتمع، ومن ثمَّ فهي جالبةٌ للخير، طاردةٌ للشَّر، والمحركُ للأفراد والشُّعوب نحو الوعي والرُّقي. وبقَدر ارتقاءِ الأخلاق في المجتمع يكون صلاحُه ورقيُّه، والعكسُ صحيح. والأخلاقُ والقيم هي السندُ الأساس للدَّساتير والقوانين لتنظيم العلاقاتِ داخل المجتمعات. وتُمثل الأخلاقُ والقيم ركنًا رَكينًا في رسالة الإسلام التي جاء بها خيرُ الأنام ومِسكُ الختام سيدُنا محمد (ﷺ) ، هديةُ الله للكون وهدايتُه للعالمين.

ولقد شاء الله الحكيم أن تتجسَّد كلُّ الكمالات البَشرية في شخصِه الشَّريف المعصوم.. فقد حازَ كلَّ الكمالات البشرية، ونالَ كلَّ مقوِّمات النبْل والأخلاق السامية؛ إنه المربي الأعظمُ والمعلِّم الأكبر، الذي جاء بدستورِ دَساتير التربية الرَّشيدة (القرآن الكريم)، ودستورِ الأخلاق التي بلغتْ أعلى درجات النُّبل والرُّقي والرشْد الحضاري.

يقول الدكتور/ محمد المهدي: "... والرسالةُ الإسلامية على الرغم من تَميُّزها في جوانبِها المتعدِّدة، فإنَّ أهمَّ ما يُميزها هو أخلاقُ النبي (ﷺ) ، فقد كانتِ المحورَ الأساس للحضارة الإسلامية كلها. وإذا كان هناك حضاراتٌ كثيرة نَمَت وتَرعرت، ثمَّ ذبُلَت وزَالت، فإنَّ الحضارةَ الإسلامية بقيَت حتى الآن متوهِّجة، ومتألِّقة، وملهِمَة، ودافعةً لكثيرٍ من

المجتمعات الإنسانية، على الرغم من بعضِ الهَنات في التاريخ الإسلامي. لقد كان الجانبُ الأخلاقي في الحضارة الإسلامية هو أهمَّ ما يُميزها عن بقيةِ الحضارات، وكانت أخلاقُ النبي الكريم شيئًا عظيمًا أبهرَ الأعداءَ قبل الأصدقاء"(٢٥).

ولا ريبَ في أنَّ حبوبَ لقاح القيم التي نَثَرها النبي (ﷺ) ، وبذورَ الأخلاق التي بَذَرها، وأشجارَ النُّبل التي غرسَها بأقواله وأفعاله وأخلاقه وتقريراته، في منهجه.. وفي قلبِ الناس والمجتمع؛ تَستوجب تطبيقها في دنيا الناس لتعيشَ فينا ونعيشَ فيها وبها، ومن ثمَّ يتحقَّق فينا قولُ ربنا جلَّ وعلا: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران:١١٠)، وحتى تَنجو سفينةُ البشرية إلى برِّ الأمان.

وإذا كانتِ القواعدُ الأخلاقية هي فنَّ الحياة، وميزانَ الحضارة، وبَوْصَلةَ السلوكِ الظاهر التي توازي بوصلةَ الضَّمير الخفي؛ فإنَّ مكارمَ العَظمة الأخلاقية قد تجسَّدت في أخلاقِ النبي الكريم، التي تَزاوجَت فيها أقوالُه وأفعالُه بشكل لم يسبقْ له نظيرٌ مِن قبل، ولن يحدث له مثيلٌ مِن بعد.

## عالميةُ الرسالة وإنسانيةُ الرَّسول (ﷺ) :

إنَّ أخلاقَ النبي العظيم قد أبهرتِ الأعداءَ قبلَ الأصدقاء. نعم، ربما مَن يحبُّ رسولَ الله (عليه الصلاة والسلام) يتحيَّر له، ويتحمَّس لمدحِه، والثناءِ عليه، والانبهارِ بأخلاقه، بيدَ أنَّنا "لكي نكون مَوضوعيّين نحتاج إلى أن نرى بعيونٍ محايدة، ذلك أنَّ العيون المحايدَة أثبتتْ للنبي (ﷺ) عظمةَ أخلاقه وارتقاءها وسموَّها لأقصى درجات العظمة والارتقاء والسُّمو، واكتمالها ونموها لأقصى درجاتِ الاكتمال والنُّمو، وتوازنها لأقصى درجاتِ التوازن. وهنا تتجلَّى مَكامنُ العظمة! لماذا؟؛ لأنَّ بعضَ عظماء التاريخ ربما يتحلّون ببعضِ السمات الأخلاقية العليا، فبعضُهم كان شجاعًا.. وبعضُهم كان رحيمًا.. وبعضُهم كان قويًّا.. وبعضُهم كان متسامحًا...، ولكنْ لا ترى هذا التكامل، وهذا التوازن، وهذا النُّضج، وهذا الاكتمالَ كما كان في شخصية النبي (ﷺ) . والسؤالُ المُلحُّ هنا من جانب علم النفس وعلم الاجتماع: كيف ليتيمٍ عاشَ مثلَ هذه الظروف القاسية جدًّا، حتَّى يتحلَّى بهذه المنظومة الأخلاقية على هذا المستوى الذي لا يوجَد له نظيرٌ من قبْل ومِن بعد؟! فلقد وُلِد يتيمَ الأب، ثمَّ ماتتْ أمُّه في بواكير حياته، ثمَّ تولّاه جدُّه ثمَّ مات، فتولّاه عمُّه.. وهنا تتجلى المعجزةُ الإلهية لرسول الله؛ فلم يُربِّه أبوه، ولم تُربِّه أمه... إلخ؛ بل ربَّاه الله تعالى، وأدَّبه بأدبِ القرآن. ولنا أن نتخيَّل أنَّ إنسانًا قام بتربيتِه ربُّ العالمين، فإننا نتوقَّع كلَّ مستويات الكمال والارتقاء والسُّموق والسُّمو في شتى جوانبِ الأخلاق، بالشَّكل الذي رأيناه في أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام. ولمَ لا، وقد مدحَه اللهُ بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤)، وحين يمدحُ أحدٌ أحدًا فأنتَ ترى مَن المادح، وتُصبح قوةُ المدح مِن قوةِ المادح، ومِن عظمتِه.. فإذا كان اللهُ سبحانه قد وصفَه في عَلبائه بأنه على خُلُق عظيم، فإنه يُشير إلى معجزةٍ أو آية عُظمى في الأخلاق. تقول السيدةُ عائشة (رضيَ اللهُ عَنْها) التي عاشتْ معه وخالطتْه في كلِّ تفاصيل حياته: (كَانَ خُلُقُه الْقُرْآن)(٢٦)؛ لذلك فحين تبحثُ عن أخلاقِه فإنه يسهلُ عليك أن تراها في الآياتِ القرآنية، وفي الأحاديث النبوية.. في أقواله.. في أفعاله.. في خِلاله... إلخ. والسببُ في ذلك أنَّ الرسول لم يكن مُنَظِّرًا ولم يكن فيلسوفًا، ولم

(٢٥) أ.د/ محمد عبد الفتاح المهدي: أخلاق النبي (ﷺ) وصفات النفس السوية، برنامج الإسلام والحياة، بإذاعة القرآن الكريم من القاهرة، حلقة من تقديم الإذاعي القدير أ/ رضا عبد السلام.

(٢٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

تكنْ أقواله مُنفصلةً عن أفعاله أبدًا، فكلُّ كلمة قالها، وما وردَ بشأنه في القرآن؛ تَراه ماثلًا عَيانًا بيانًا في تجسيدٍ حيٍّ في شخصيته. وهذا أمرٌ مُعْجز؛ لأنه ربما قال الفلاسفةُ والمفكرون والمصلحون –في كثيرٍ من العصور– كثيرًا من الكلام الجميل والعظيم، بيدَ أنَّ ما قالوه لم يكن ماثلًا في واقع حياتهم، أما الرسولُ (ﷺ) فكان كلُّ كلمة قالها أنموذجًا حيًّا متجسِّدًا في سلوكه وفي حياته"[٢٧]، وكانت حياتُه كلُّها صفحةً شَريفة ومفتوحة لكي يتعلمَ منها الجميع.

وهكذا، فنحن إذًا إزاءَ حالةٍ فريدة، فالمؤدِّب هو الله، والمؤدَّب هو رسولُ الله، والواسطةُ هو جبريلُ الأمينُ عليه السلام، إنها كمالاتٌ وكراماتٌ ومُعجزات، ولعلَّ هذا ما يفسِّر إقبالَ ملايين البشر في شتى أنحاء العالم على سيدِنا محمد، وتوْقَ أفئدتِهم إليه، وتعلُّقَ قلوبهم به، وهُم لم يروْنَه من قبل، حيث لا صورةَ له تربطُهم به، وإنما الجامعُ والجاذبُ والمحفِّز لهم صالحَ الأخلاق التي جاء ليتمَّها بأمرِ ربِّ العالمين.

## قبسٌ من دستور الأخلاقِ النَّبوية:

إذا أردْنا أن نتحدَّث عن دستور الأخلاق الذي أرساه رسولُ الإنسانية (ﷺ) ، فإنه لا يَسعُنا الزمانُ ولا المكان، بل إنَّ ذلك يحتاج عملًا موسوعيًّا كبيرًا، بيدَ أننا سنَقتَبس قبساتٍ من هذا الدستور العظيم.

فهيّا بنا عزيزي القارئ الكريم لنقتربَ في سكينةٍ وخشوعٍ من دستور الأخلاق الذي جاء به نبيُّنا الكريم، فهو –بلا ريب– السبيلُ الأمثل لصلاحِنا وإصلاحِنا وأدائنا الحضاري المتميّز الذي يحققُ ازدهارَنا وتقدمَنا.

### لقد علَّمنَا النبي (ﷺ) فعلَ كلِّ نُبل وكلِّ خير، ونَهانا عن اقتراف كلِّ شر، ومن ذلك:

- علَّمَنَا النبيُّ الكريمُ **الإيمانَ بالله الواحد الأحد**، الفردِ الصمد، الذي لم يلدْ ولم يولَد ولم يكن له كفوًا أحد، والإيمانَ بملائكته، وكتبِه، ورُسله، واليوم الآخر، والقدر خيرِه وشرِّه.
- علَّمَنَا **الإحسان**؛ وهو أن نعبدَ الله كأنَّنا نراه، فإن لم نكن نراه فهو (سبحانه وتعالى) يَرانا على الدوام.
- علَّمَنَا **الإخلاصَ لله ومراقبته في السر والعلَن**، وأنَّ الله لا يَقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له وحدَه، ومن ثمَّ ترى المؤمنَ يُحسن عملَه، وينبعثُ إلى العطاء بدوافعَ ذاتية، غايتُها استرضاءُ الله جلَّ وعلا، حتى وإن لم يلقَ تقديرًا من الناس.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) ، **أن نحترم أقدارَ الله** (عزَّ وجلَّ) في الخلق والكون والحياة.
- علَّمَنَا نبيُّنا العظيم **أن قدر الله لا يحكم الله، ولكن الله يحكم قدره، وأن نأخذَ بالأسباب، ونتوكّلَ على الله**، وأنَّ نفسًا لن تموتَ حتى تَستكملَ رزقَها وأجَلَها، وأنَّ الله تعالى تكفَّل بأرزاقِ كلِّ مخلوقٍ من مخلوقاته التي نعلمُها والتي لا نَعلمها؛ التي نَراها وتلك التي لا نَراها، قال تعالى: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (هود: ٦).
- علَّمَنَا رسولُنا العظيم **المراقبةَ الذّاتية**، وأخبرنا أنَّ معنا طوالَ حياتنا مَلَكيْن يُلازماننا في: صَحونا ونَومنا، في سَيرنا ووَقْفنا، في فَرحنا وحُزننا، في كلِّ شيء.. في تَصرُّفاتنا كلها.. بدقَّة مُتناهية وبصدقٍ كامل؛ لأنهما مُكلَّفان من الله

(٢٧) أ.د/ محمد عبد الفتاح المهدي: أخلاق النبي (ﷺ) وصفات النفس السوية (مرجع سابق) بتصرف.

تعالى، وشهادتهما مُعتمَدة، ولا يمكن مُغافلتُهما أو التحايلُ عليهما، (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق: ١٨)، وهناك لا مَحالة يومٌ للحساب والجزاء.

- علَّمَنَا النبيُّ الكريم أنَّ **القرآن الكريم هو كلام الله الخالد، ينير القلب، والعقل، والنَّفس، وينير البصر والبصيرة والضَّمير، ويجعل صاحبه في معية الجناب الأعلى** جلَّ وعلا، يَرضى بقضائه، ويَصبر على بَلائه، ويَشكره على نَعمائه، ويَقنع بعطائه.. يؤمنُ بالغيب كما يؤمنُ بالشهادة... فيعيشُ هادئ النَّفس، مُستريحَ البال.. بعيدًا عنِ الاضطرابات "الفسيولوجية" الداخلية، والصِّراعات النفسية، والفَراغات الروحية.

- علَّمَنَا نبيُّنا الكريم **السياحةَ الدائمةَ في كتاب الله المنْظور**: (الكون البديع)، **والسباحةَ المستمرّةَ في أعماق بحار كتابه المسطور**: (القرآن الكريم)، لنظلَّ على الدَّوام في معيَّة الله العظيم.

- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) **أنّ أصلَنا واحد، ودورَنا مُشترك، فنحن جميعًا من نَفْس واحدة**، إنَّنا جميعًا لآدم، وآدمُ من تراب، وهذه رسالةٌ من الله تعالى تُذكِّرنا دومًا بأخوَّتنا ورحِمنا المشتركِ على الدوام، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء:١)، وأنَّ دورَنا مشترَكٌ في إعمار الكون والحياة، قال تعالى: (...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: ٢٥١).

- علَّمَنَا أنَّ "**مجتمع الإيمان هو المجتمع القوي، الآمن، المبْدع، المنتج، الذي تسوده الأخلاقُ والقيم الدافعةُ للتقدم، والسلام الاجتماعي، ويموج بالحياة والحركة والعمل والإبداع والإنتاج**.. وتختلطُ فيه صيحاتُ المآذن بضَجيج المصانع والآلات، وليس هو المجتمع الخامل الساكن الضعيف أو المأزوم المهزوم، الذي يعيش عالةً على الآخرين في غذائه وكسائه ودوائه"[٢٨].

- علَّمَنَا نبيُّنا الحكيم **صونَ النفس الإنسانية**، وأنها أقدسُ من الكعبة المشرَّفة، ومن الأشْهُر الحرم، فقال النبيُّ (ﷺ) بمِنًى: (أتَدْرُونَ أيُّ يَومٍ هذا قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ هذا يَوْمٌ حَرَامٌ، أفَتَدْرُونَ أيُّ بَلَدٍ هذا قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: بَلَدٌ حَرَامٌ، أتَدْرُونَ أيُّ شَهْرٍ هذا قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهْرٌ حَرَامٌ قالَ: فإنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَيْكُم دِمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا)[٢٩].

- علَّمَنَا النبيُّ الحكيم **صونَ العقل الذي ميز الله تعالى به الإنسان عن سائر المخلوقات**؛ فبه يميز بين الخير والشر، والهدى والضلال... ومن رحماتِ الله تعالى بالإنسان أنه منحَه هذا الجهازَ المعجِز لاستقبال أنوار الوحي الشَّريف المعصوم، وجعل التفكرَ فريضةً إسلامية، وحرَّم على الإنسان أن يَعتدي على العقل أو تَعطيله عن عمله، وشرَّفه غايةَ التَّشريف بأن جعلَه مناطَ التكليف، ومن ثم علَّمَنَا السباحةَ الفكريةَ بالعقل في ملكوتِ الله شمالًا وجنوبًا شرقًا وغربًا.. طولًا وعرضًا وعمقًا، وبشكل دائبٍ لا يَنقطع؛ للارتقاءِ به في مَراتب التفكير العليا وتَعميقِ الإيمان، حتى يظلَّ في كنفِ أنوار الله، بعيدًا عنِ الشَّطط أو الغلوِّ أو الانحراف.. ومن رحماته –أيضًا– أنه جعلَ لهذا العقل طاقاتٍ ولم يحمّله ما لا طاقةَ له به، وجعل له حدودًا يقف

(٢٨) انظر: كتاب الدعوة الاسلامية في القرن الحالي لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالي. راجع: د/ أحمد علي سليمان: بناء الداعية الموسوعي "علميًّا وتربويًّا وثقافيًّا ومهاريًّا"، بحث مقدم للمؤتمر التاسع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الذي عُقد بالقاهرة تحت عنوان: (بناء الشخصية الوطنية وأثره في تقدم الدول والحفاظ على هويتها)، خلال الفترة من ١٩ – ٢٠ يناير ٢٠١٩م، ص ٧.

(٢٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

عندَها ولا يستطيع أن يَتجاوزَها؛ كالغيبيات التي ليس للعقل فيها إدراكٌ على التفصيل، ولا شكَّ أنَّ في هذا صيانةً للعقل البَشري من الانحراف والزَّيغ والفُرقة والخلاف؛ لذلك كان نكيرُ الشارع الحكيمِ لكلِّ المسْكرات والمخدّرات والمفتِّرات التي تنالُ من العقل أو تُعطله عن أداء رسالته.

- علَّمَنَا رسولُنا الرحيم **الأخوّةَ الإنسانية**، وأننا جميعًا من نفسٍ واحدة، ومن ثمَّ نحن إخوة، ويجب أن تكون هذه الحقيقةُ ماثلةً أمامنا على الدوام.

- علَّمَنَا **الشورى** لكي نَتكاملَ في بناء الإنسان وإعمارِ الكون وإسعادِ الحياة؛ بأفكارنا جميعًا، وبإبداعنا جميعًا، وبعطائنا جميعًا، دون حَجرٍ على أحد، ودونَ إقصاءِ أحدٍ لأحد، ودونَ تَسفيهٍ لفكرِ أحد؛ فكلُّنا شركاءُ في المسؤولية، وفي بناءِ المجتمع، وإعمارِ الكون والحياة، وإسعادها.

- علَّمَنَا النبيُّ الكريم **أهميةَ العلم وتحصيله والبَراعة فيه، والتعلُّم المستمر** بحيث يكون المسلمُ متطورًا ومواكبًا للزمن، ومن ثمَّ فقَّهَنا أنَّ "الأمم تتقدم أو تتأخَّر بمقدار أنصبَتِها من العلم، وقُدرتها على تَحويله إلى حضارةٍ مُثمرة.. وأن العقلَ الصَّحيح هو الذي يقرأ آياتِ الله في الكون كما يقرؤها في المصحف"(٣٠).

- علَّمَنَا رسولُنا الحكيم **حفظَ الأعراض وعدمَ سخرية الإنسان من أخيه**، وعدمَ التَّنابز بالألقاب، واجتنابَ الظنِّ السيِّئ، والابتعادَ عنِ التَّجسس، والتلصُّص، والغَيبة، والنَّميمة... وغيرها من الآفاتِ الهدّامة للبناء الاجتماعي، والمؤجّجَة للصراع في جَنَبات المجتمع.

- علَّمَنَا أنَّ **الغشَّ والتدليس والخداعَ حرام، وأن الإسلام لا يرضى أبدًا لمجتمعاته أن يتغالب فيها الناس بالمكر والخديعة والفتن والنَّوايا الخبيثة**؛ بل يريد مجتمعًا تَسْري في أوصالِه شَرايين الأخوَّة، ودماءُ الصدق والنُّبل والعفاف، وتَحرّي الحلال والإخلاص لله.

- علَّمَنَا الرسولُ العظيم **أهميةَ العمل، ومحاربةَ الكسل والدعَة والتواكل**، والدَّفع بأتباعه قُدُمًا نحو العمل، وعدمَ التوقُّف عنه مهْما كانتِ الظروف والأحوال. يقول (ﷺ): (إنْ قامَتِ السَّاعةُ وبيَدِ أحَدِكُم فَسيلةٌ، فإنِ استَطاعَ ألَّا يقومَ حتى يَغرِسَها فلْيَفْعَلْ)(٣١)، وفي رواية: (إنْ قامَتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةٌ فإنِ استَطاعَ أن لا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها)(٣٢).

- علَّمَنَا المصطفى عليه السلامُ **جودةَ العمل وإتقانَه، والبراعةَ فيه**، والإبداعَ فيه؛ يقول (ﷺ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ)(٣٣) وأنَّ مَن يُتقن عملَه ويجوّده ويُحسِّنه سيَكونُ من المحبوبين عندَ الله (عزَّ وجلَّ) بدلالةِ مَنطوق الحديث الشريف(٣٤)، وأنَّ السبيلَ الأمثل لتقدُّمنا وازْدِهارنا وعلوِّ كَعْبنا ومِن ثمَّ حجز المكانة اللائقة بنا بين الأمم؛ يَكمنُ في أدائنا الحضاريِّ المتميز، ولن يحدثَ ذلك إلا بتمثُّل دستور الأخلاق النَّبوية وأن نعيشَه، ونعايشه، ويعيشَ فينا.

---

(٣٠) الشيخ محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ج ٣، هدية مجلة الأزهر، عدد ربيع الأول ١٤٣٩ = نوفمبر/ ديسمبر ٢٠١٧ م، ص ١٠

(٣١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده

(٣٢) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد.

(٣٣) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير

(٣٤) راجع دراستنا: نحو إحياء قيمة العمل، منشور في العدد ١١٦٧ من صحيفة (الدعوة الإسلامية)، ليبيا، ١٣ مايو ٢٠٠٩م، ص ١٠

- علَّمَنَا رسولُنا الكريم **أهمية الذكر ودَيمومة الشكر**، فبالذِّكر يَذكرك الله، وبالشُّكر تدومُ النِّعم.. (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (البقرة: ١٥٢).
- علَّمَنَا (ﷺ) **الدعاء، وأن نتعلَّق بحبال الله تعالى**؛ ذلك لأنه لا يقدرُ على جَلب النَّفع إلا الله، ولا يَقدرُ على الضرِّ إلا الله، ولا يقدرُ على دَفع الضرِّ إلا الله.
- علَّمَنَا (عليه الصلاة والسلام) **انتقاءَ الكلمات الطيبة المريحَة للقلب والنَّفس عند الحديث مع الآخرين**.
- علَّمَنَا أن **يكون المسلمُ هاشًّا باشًّا بسامًا بشوش الوجه قدوةً حَسنة**، مُهندمًا، نظيفًا، جَميلًا على الدوام.
- علَّمَنَا رسولُنا العظيم **الإحسانَ إلى الطفل الصَغير**، فهو هديةُ الله، وهو أمانَة، وأنه عَجينةٌ غالية جدًّا، ومن ثمَّ يجب أن نُشكِّلها على أفضلِ ما يكون.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) **الإتقانَ والإحسانَ في كلِّ شيء**، ومع كلِّ الناسِ والمخلوقات، وفي كلِّ حال، وأن يكون المسلمُ مُحسنًا حتى وإن لم يلقَ إحسانًا من الناس.. أن يكون مُحسنًا ليس لأجلهم؛ بل لأنَّ الله تعالى يحبُّ المحسنين.
- علَّمَنَا (ﷺ) **الصدقَ والبعد عن الكذب**، فقال: (عليكم بالصِّدقِ. فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ. وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ. وما يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ صِدِّيقًا. وإيَّاكم والكذِبَ. فإنَّ الكذِبَ يهدي إلى الفجورِ. وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ. وما يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ كذَّابًا)[٣٥].
- علَّمَنَا نبيُّنا العظيم **ضبطَ اللِّسان**؛ فقال (ﷺ): (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيقُلْ خيرًا أو لِيصمُتْ)[٣٦]، وأنْ نحفظَ ألسنتَنا، ولا نلوِّثَها أبدًا بالكلمات النّابيَة أو الخارجة أو بالساقطِ من الكلام، أو التَّجرئ على خَلق الله، يقول أنسُ بنُ مالك (رضي الله عنه): "خدمتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) عشرَ سنينَ، فما قال لي أُفٍّ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه: لِمَ صنعتَه، ولا لشيءٍ تركتُه: لِمَ تركتَه، وكان رسولُ اللهِ من أحسنِ الناسِ خُلُقًا..."[٣٧] تخيَّل أخي القارئ الكريم عشرَ سنين لم يَصدُر فيها– ولا في غيرها– كلمة أفٍّ –ولا غيرها– وهي أقلُّ كلماتِ الضَّجر، ولا غَرْو في ذلك فهو الصادقُ المعْصوم.
- علَّمَنَا (ﷺ) **أهميةَ التَّقوى وحُسنَ الخلق**. وسُئِلَ عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ الجنةَ؟ فقال: (تقوى اللهِ وحسنُ الخُلقِ). وسُئِل عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ؟ فقال: (الفمُ والفرجُ)[٣٨].
- علَّمَنَا **الحفاظَ على حقوق الجار**، يقول (ﷺ): (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكرِمْ جارَه..)[٣٩]. وحفَّزَ النفوسَ على ذلك، وجعلَه مَطلبًا إيمانيًّا عظيمًا، مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وهمَا من أركانِ الإيمان، وهي أعمالٌ قلبية، لا يطَّلع عليها إلا اللهُ العليم، وكأنَّ إكرامَ الجار يجب أن يكون حِسيًّا ومعنويًّا.

---

(٣٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(٣٦) أخرجه ابن حبان.
(٣٧) مختصر الشمائل.
(٣٨) الترغيب والترهيب.
(٣٩) أخرجه ابن حبان.

- علَّمَنَا النبيُّ (عليه الصلاة والسلام) **أن الحب ركنٌ في الإيمان، ودليلٌ على صدقه**.
- علَّمَنَا النبيُّ الكريم **أن تقدّمَ المجتمع يتوقَّف على الأداء الحضاري المتميز لمجموع المواطنين**.
- علَّمَنَا (ﷺ) **أن الدنيا ستَفنى، وأنَّنا سنموت، وأن الأعمالَ بخواتيمها، وأنه يجب أن نُحاسب أنفسنا أولًا بأول قبل أن نُحاسب في الآخرة**، وأنَّ الدنيا ساعةٌ فيجبُ أن نجعلَها طاعةً خالصةً لله؛ حتى نفوزَ برضاه.
- علَّمَنَا الرسولُ الكريم **الموازنةَ بين الحقوق والواجبات، بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية**، "وربط الحقوق بالواجبات، وذلك كلُّه ضمنَ مَنظومة عقديةٍ وأخلاقية تشملُ الجميع، وتَحميها الدولة، وتسنُّ لها التشريعاتِ اللازمةَ لضمانِ تطبيقها بما يدرأ المفاسدَ ويَجلب المصالح"(٤٠)؛ لتظلَّ عمارة الأرض والكون والحياة، وتحقيقُ الاستخلاف في الأرض، والأداءُ الحضاري المتميز، وترقيةُ المجتمع، وتحقيقُ جودة الحياة، ورعايةُ الإنسان (الأسرة والأقارب والفقراء وأصحاب العَوَز والمحتاجين...إلخ)؛ جزءً لا يتجزَّأ من رسالة المسلم في هذه الحياة.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) **كظم الغَيظ، ومجاهَدةَ النَّفس وضبطَها**؛ فهي أشَدُّ مِن مجاهدةِ العَدُوّ، والبعدَ عن الغضب، فعن أبي هُريرةَ (رضيَ اللهُ عَنْه): أنَّ النَّبيَّ (ﷺ) قال: (ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ)(٤١) فلا تظُنُّوا أنَّ الرَّجل القويَّ هو مَن يَتمتَّعُ بقوَّة بَدنية يَستطيعُ بها أنْ يَصرَعَ الآخَرين؛ ولكنه القويُّ في إرادتِه، المتحكمُ في نفْسِه عندَ الغَضبِ، الحليمُ الكاظم غَيْظَه، المانعُ نفْسَه عن إيذاءِ النَّاس. وبذلك فإنَّ مُقاومةَ الغضبِ وامتلاكَ النَّفسِ عند وُقوعِه مِن أفضلِ الأعمالِ الصَّالحةِ الَّتي يُثابُ عليها الإنسان.
- علَّمَنَا النبيُّ الكريمُ **المسؤوليةَ الاجتماعية، والإيجابية**، وترسيخَها في نفس النَّشْء منذ الصغر، بحيث يكون مَسئولًا وإيجابيًّا في كُلِّ أحْوالِه، ونافِعًا لنَفْسِهِ، ولغَيْرِه ولوطنه.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) أنَّ **العبادات في الإسلام ليست شعائر تؤَدّى فقط؛ ولكنها موجَهاتٌ للإنسان إلى طريق الله**.. إلى طريق الإيمان.. إلى طريق مُراقبة الله.. إلى طريق حبِّ الخير للناس؛ موجِّهاتٌ للإنسان إلى طريقِ الجنة التي أعدَّها الله للمتقين. فالصلاةُ معراجُ المسلم لربِّه، ومن ثمَّ يجب أن تكون موجَّهةً لنا نحوَ الإصلاح والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وأنَّه رُبَّ قائمٍ ليسَ له من صلاته إلا القيامُ والقعود!، وأنَّ مَن لم تنْهَه صلاتُه عن الفحشاء والمنكر فليسَ له صلاة. وأنَّ الصيام يجب أن نعيشَه ونُعايشَه ويعيشَ فينا، في سلوكنا وقلوبنا ووجْداننا وفي كلِّ جوارحنا على الدَّوام؛ ليشعرَ الغنيُّ بآلامِ الفقير ويدفعَه إلى العطاء والسَّخاء، ومن ثمَّ يُكسب الشخصَ أخلاقًا نَبيلة، ويربّي الضميرَ في نفسِه ويوقظه ليظلَّ حيًّا يقظًا في كَينونتِه، ويحقّق لديه خَصيصةَ المراقبة والإحسان ويُنمّيها على الدوام، وإلا فَرُبَّ صائمٍ ليس له من صيامِه إلا الجوعُ والعطش، وما يُقال عنِ الصلاة والصيامِ يُقال عن سائرِ العبادات.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) ، أن **نبتعدَ عن الغشِّ بشتى صوره وأشكاله**، وأنَّ مَن غشَّ فليسَ منّا، ولقد مرَّ (ﷺ) في الأسواق ذاتَ يومٍ فوجدَ رجلًا يضعُ الطعامَ الجيد في أعلى الوعاءِ ليَظهر للناس، ويَضعُ الرَّديء في أسفلِه ليُخفيَه عنهم، فقال (ﷺ) له: (مَن غشَّ فليسَ مِنَّا)(٤٢).

---

(٤٠) د/ زينب عبد السلام أبو الفضل: موسوعة عناية القرآن بحقوق الإنسان.. دراسة موضوعية وفقهية، الجزء الثاني، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨م، ص ٣١ – ٦٥ بتصرف.

(٤١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٤٢) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير– صحيح.

- علَّمَنَا النبيُّ الكريم **مكانة طالب العلم والعلماء**، فقال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[٤٣].
- علَّمَنَا النبيُّ (عليه الصلاة والسلام) **حسن التَّودد، والمزاورة، والمواصلة، والمكارمة، وإنزال الناس منازلهم، واحترام كبار القوم، والشيوخ والمسنّين، وشتى القوى المكونة للمجتمع، وإكرامهم**، ولنا أن نتأمَّل في قول النبي (ﷺ): (مَن دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهو آمِنٌ...)[٤٤]. لقد تفرَّد في كيفية معاملة النُّفوس البشرية، وكيف كانت السماحةُ والرفقُ والعفو النبويُّ بدلًا من الإذلالِ والانتقام. فتأثرَ أبو سفيان (رضيَ اللهُ عَنْه) بهذا الموقف العظيم، ولم يملكْ إلا أنْ قال: "بأبي أنتَ وأمّي يا محمد، ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك"!. وكان هذا الموقفُ النبويُّ الكريم دعمًا نفسيًّا ومعنويًّا وتَثبيتًا له على الإسلام وتقويةً لإيمانه، وتطمينًا له بأنَّ مكانتَه عند قريش وغيرها. وهذا منهجٌ نبويٌّ كريم، يجبُ على السادة الدُّعاة والمربّين وعموم الناس؛ أن يَستوعبوه جيدًا، ويعملوا به في تعامُلهم مع الناس[٤٥].
- علَّمَنَا النبيُّ الرحيم **التَّيسير على الناس وسترهم**، فعنْ أبي هريرة (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: قال رسولُ الله (ﷺ): (مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ)[٤٦].
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) **السعي على الأرملة والمسكين**،- والأرملةُ هي التي ماتَ عنها زوجُها، وسُمِّيَت بذلك لِما يحصُلُ لها من الإرمالِ؛ وهو الفَقرُ وذَهابُ الزّادِ بفَقدِ الزَّوجِ. والمسكينُ هو الَّذي ليس له مِنَ المالِ ما يَسُدُّ حاجتَه-، وأنَّ الساعيَ عليهما- وهو الَّذي يقومُ بمصالِحِهما ومُؤنَتِهما وما يَلزمُهما- له مِثلُ أجر المجاهد في سبيلِ الله لإعلاءِ كلمته، أو مثلُ أجرِ الذي يقوم ليلَه بالصلاة والذِّكر والدُّعاء الصَّائمِ بالنَّهارِ، يقول النبي (ﷺ): (السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ، أوِ القائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهارَ)[٤٧].
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) **العناية الفائقة باليتيم ورعايته جسمانيا وعاطفيا والرحمة به، وترسيخ حقوقه وتكريمه**، فقد قرَّرَ الرسولُ الكريم (ﷺ) حقوقَه كاملةً قبل العالم بأربعة عشَر قرنًا، ومن أهمِّها: حقُّ الحياة، وحقُّ النَّسب لأبيه لا إلى غيره، قال تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ..) (الأحزاب:٥)، وحقُّ الرضاعة، وحقُّ النَّفقة، وحقُّ الوَلاية على الحضانة والنَّفس والمال، وحقُّ الرحمة.. والتحذيرُ من إيذائه بأيّ صورةٍ من صور الإيذاء، سواء أكان حِسيًّا أم معنويًّا.. مباشرًا أم غير مباشرٍ.. بالقول أم بالفعل.. بصريح العبارة أم بكِنايتها.. يقول تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (الضحى:٩)، وقد أحاطَ اللهُ (سبحانه وتعالى) أموالَ اليتيم بأسوارِ حفظِه ورعايتِه وحراستِه، وجعلَ لها حِمًى مقدَّسًا، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا

(٤٣) أخرجه الإمامان: أبو داود، وابن ماجه.
(٤٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(٤٥) من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

https://www.islamweb.net/ar/article/١٨٤٥٢٥

(٤٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(٤٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء:١٠)، ويا لَه من إنذارٍ شديد تنخَلعُ له القلوبُ الحيَّة!. كما جعل النبيُّ– أيضًا– رعايةَ اليتيم من موجِبات الجنة.. فعنْ سَهل بنِ سعدٍ الساعدي (رضيَ اللهُ عَنْه) قال (ﷺ) : (أنا وكافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وأَشارَ بالسَّبَّابَةِ والوُسْطَى، وفَرَّجَ بيْنَهُما شيئًا)[٤٨] في إشارةٍ وبِشارة منه أنَّ كافلَ اليتيم سيكون مُلاصقًا له في الجنَّة. وكفالةُ اليتيم تعني القيامَ بشؤونه من التربية، والتعليم، والتوجيه، والنُّصح، والإرشاد، والتَّهذيب، والقيام بما يحتاجُه من حاجات تتعلق بحياته الشَّخصية من المأكل والمشربِ والملبس والعلاج، وتأمينه على جسده، وعقله، ونفسه، وعرْضه، وماله، وعقيدته، ودينه، وأخلاقه. والمسلمُ مأمورٌ أن يُعطي اليتيمَ مما أعطاه اللهُ ويُعَلّمه مما علَّمَه الله، ويجود عليه بخبراتِه الحياتية الأمينة؛ لأنه ضعيفٌ وعديمُ الخبرة والدِّراية، ومن ثمَّ في حاجةٍ إلى دَيْمومة التوجيه.

هذا هو سيدُنا محمد رسول الله، رسولُ الإنسانية، رحمةُ الله للعالمين. وهذه قبساتٌ من صالح الأخلاقِ التي جاء ليتمِّمَها. وسيظلُّ هذا الرسولُ العظيم نبراسًا ونورًا للعالمين على الدوام.

نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﷺ ...) (الأعراف: ٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

**خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان**

**عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية**

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman55555@gmail.com

تم تدشين صفحة #معارج_الدعاة للدكتور أحمد علي سليمان، للإسهام في إثراء العمل الدعوي والدعاة يرجى متابعتها ونشرها

https: //www.facebook.com/share/١٦u٦EDacEw/?mibextid=LQQJ٤d

(٤٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.